دُعَـــاء

يَـــا خَـالِقَ الكَـــوْنِ مَن أعْلَى بِقُـدْرَتِـــهِ
سَمَـــاءَهُ ثُمَّ أرْسَـــاهَـــا بِـــلاَ عَمَـــدِ
وحَفَّهَـــا بِسِيَـــــاجٍ مِنْ جَـــــلاَلَتِـــهِ
كَمَـــــا أرَادَ فَلَمْ تَجْنَـحْ وَلَمْ تَمِـــــدِ
جِبَـــالُهَـــا الشـمُّ أوْتَـــادٌ وَقُـــدْرَتـــهُ
أجَلَ فِي خَلْقِهَـــا مِن قُـــدْرَةِ الـــوَتَـــدِ
نَـــوَّرْتَ ظلْمَتهَـــا بِـالشّمْسِ مُشْـــرِقَـــةً
مِنْ نُـــــورِ وَجْهِكَ لَمْ تُطْفَأ وَلَـمْ تَبِـــدِ
وَبِـــالْكَـــوَاكِبِ تَسْـــرِي فِي مَطَـــالِعِهَـــا
مسَـــارِجـــاً وَمَصَـــابِيحـــاً بَـــلاَ عَـــدَدِ
يَـا مَـنْ بِقَـوْلِـهِ (كُـنْ) قَـامَتْ عَـــوَالِمُـهُ
وَكُلّ آيَـــــاتِـــهِ مِنْ أمْـــــرِهِ الأبَـــدَي
وَوَاهِبَ الـــرّوحِ أجْسَـــامـــاً تُقِيمُ بِهَـــا
كَمَـــا يَشَـــاءُ، وَيُحْيِيهَـــا إلَى أمَـــدِ
تُشْقِي بِعَـــدْلِكَ أقْـــوَامـــاً، وَتُسْعِـــدُ مَنْ
تَشَـــاءُ فَضْـــلاً، وَأنْـتَ النبّعُ ذُو المَـــدَدِ
يَـــامُخْـرِجَ الحَـبّ مِنْ أعْمَـــاقِ تُـرْبَتِـــهِ
بِمَـــــائِهِ وَبِطَعْـمٍ غَيْـــــرِ مُتّحِـــــدِ

وَمُلْهِمَ النَّحْلِ عِلْمـــــاً فِـي خَلِيَّتِـــــهِ
فَشَـــادَ مِنْ رِيقِـــهِ قَصْـــراً مِنَ الشُّهُـــدِ
وَمُجْـرِيَ الفُـلْـــكِ كَـــالأعْـلاَمِ يَحْمِلُهَـا
بِأمْـــــرِهِ اليَمُّ وَالأمْـــوَاجُ فِـي صُعُـــدِ
تُصَـــارِعُ المَـــوْجَ وَالأمْـــوَاجُ عَـــاتِيَـــةٌ
مُسَخَّـــرَاتٌ لَهَـــا تَجْـــرِي عَلَـى نَضَـــدِ

* ● *

يَـــامَنْ يَـــرَىٰ كُـلّ شَيْء وَهُـــوَ مُحْتَجِبٌ
عَنْ كُلّ شَـيْء وَنُـــورُ الكَـوْنِ مِنْـــهُ بُـدِي
سَمَـــوْتَ عَنْ كُلّ نِـــدٍ أنْتَ خَـــالِقُـــهُ
وَعَنْ أبٍ لَـكَ مَخْلُـــــوقٍ وَعَنْ وَلَـــــدَ
لاَشَـيْءَ فِي الكَـــوْنِ إلاَّ وَهُـــوَ مُعْتَمِـــدٌ
عَلَيْكَ فِـي رِزْقِـــهِ يَـــاخَيْـــرَ مُعْتَمَـــدِ
رَزَقْتَ فِي الصّخُـــرَةِ المَلْسَـــاء كَـائِنَـــةً
لَمْ تَشْقَ فِي الـــرِّزْقِ أوْ تَنْهَض لَـــهُ بِيَـدِ
يَـامُمْسِكَ الطّيْـــر فِي الأجْـوَاء سَـــابِحَـةً
فَلَمْ تَقَـع مِنْ أعَـــــالِيهَـــا وَلَمْ تَحـــدِ
تَغْـدُو خِمَـاصاً إلَى المَـرْعَىٰ وَتُـرْجِعُهَـا
شَبْعَىٰ وَرَيَّـىٰ وَلَمْ تَنْـــزَح عَـنِ البَلَـــدِ

لَايَنْفَعُ الكَـــدُّ مَنْ لَمْ تُعْطِـــهِ سَعَـــةً
وَقَـــدْ يَعِيشُ قَلِيلُ الحِـــرْصِ فِي رَغَـــدِ !
أزْجَيْـتَ غَيْثَـكَ يَسْقِي كُـلَّ ذَابِلَـــــةٍ
فَـاخْضَـرّ وَجْـهُ الثَّـــرَىٰ وَالتَفّ فِي بُـرُدِ
أعَـــدْتَ بَهْجَتَهَـــا مِـنْ بَعْـــدِ مَـــوْتَتِهَـــا
بِـــــاللُّطْفِ مِنْـكَ وَلَـــوْلاَ أنْـتَ لَمْ تَعُـــدِ
فَغَـــرّدَ الطّيْـــرُ فِي أدْوَاحِـــهِ وَجَـــرَت
جَـــدَاوِلُ المَـــاء سَلْسَـــالاً لِكُلِّ صِـــدِي
وَعَـــادَ لِـــلأرْضِ شَيْخٌ كَـانَ يَحْـــرثُهَـــا
مِنْ بَعْـدِ يَـأسٍ لِيَجْنِي خَيْـرَهَـا فِـي غَـدِ

* ● *

يَـــامَنْ يُسَبّحُ مَـــا فِي الكَـــوْنِ اجمَعِـــهِ
لَـــهُ، وَيَعْبُـــدُهُ بِـــالـــرُّوحِ وَالجَسَـــدِ
وَمَنْ بُقُـــــدْرَتِـــــهِ نَجَّىٰ الخَلِيـلَ فَلَمْ
تَمْسَسْـــهُ نَـــارٌ لَظَـاهَـــا جِـــدّ مُتّقِـــدِ !
وأقْحَمَ البَحْـرَ مُـوسَـىٰ وَهْـوَ مُضْطَـرِبٌ
كَأنَّـــهُ عَـــابِـــرٌ يَمْشِي عَلَى جَمَـــدِ !
وَمَنْ أتَـىٰ رُوحُـــــهُ عِيسَى فَصَـــــوَّرَهُ
وَكَلَّمَ النّـــاسَ طِفْـلاً وَهْـــوَ فِي المَهـــدِ !

ومَنْ بَنَى مِـنْ خُيُـوط العَنْكَبُـوتِ عَلى
غَـارِ النَّبِـي دُرُوعـاً لَسْـن مَنْ زَرِدِ !
ورَدّ عَنْـهُ قُـرَيْشـاً وَهْـيَ جَـامِحَـةٌ
تَجَـرُّ أذْيَـالَهَـا مِنْ غُصّـةِ الكَمَـدِ
هَـدَى بِـهِ مَن تَحَـدَّوْهُ وَمَـنْ عَبَـدُوا
سِـوَاهُ وَانْحَـرَفُـوا جَهْـلاً عَنِ الجـدِدِ

* ● *

رُحْمَـاكَ رَبِّـي بِغَـرْقَىٰ لاَ نَجَـاةَ لَهُم
إنْ لَمْ تُحِطْهُـمُ بِعَـوْنٍ مِنْـكَ أوْ سَنَـدِ
فِي عَـالَم أظْلَمت فِيـهِ النُّفُـوسُ فَلَم
تَنقَـد لِـدَاعِيَـةٍ لِلْخَيْـرِ أوْ تَقُـدِ
ضَلَّت عِبَـادُكَ نَهْجَ الحَـقِّ وَاعْتَنَقُـوا
مَـذَاهِبـاً أفْلَسْـتِ فِيهم وَلَمْ تُفِـدِ
وَمَـزَّقَتْهـم خِـلاَفَـاتٌ وَأنْظِمَـةٌ
لَمْ تَـرْعَ حَقـاً لِمَقْهُـورٍ وَمُضْطَهَـدِ
وَأصْبَحَتْ أرْضُنَـا غَـابـاً وَمَسْبَعَـةً
لاَ يَـامنُ الظّبْيُ فِيهَـا صَـوْلَـةَ الأسـدِ !
وإنْ تَكِلْهم فَقَـدْ تَـدْنُـو نِهَـايَتُهم
وَيُخْتَفِي لَحْظَـةً مَـاشَيـدَ فِـي مُـدَدِ

مَـاقِيمـــةُ العِلْم إنْ ضـاعَتْ حَضَـــارَتُنَـا
بِمَـــا نُعِـــدُّهُ لِلتّـــدْمِيـــرِ مِنْ عُـــدَدِ ؟
تُـرْمَى (المَـلاَيِينُ) فِي الأجْـوَاء سـابِحَـةً
وَالجُـوعُ يَـــرْمِي مَـلايِينـــاً مِنَ المعَـدِ !
خَـــاضُـوا إلَى القَمَـــرِ الآفَـــاقَ فِي طَبَقٍ
كـــالْجِـنّ لاَتَخْتَشِي مِن رَاجِمٍ رصَـــدِ
ولَـــوْ دَرَى أنّ مَنْ يَغْـــزُونَـــهُ تَتَـــرٌ
لاَســـوَدّ نُـــورُ مُحَيَّـــاهُ إلَى الأبَـــدِ !
غَطّت جَـــرَائِمنَـا الـــدُّنْيَـا وَمَـــا سَعِـدَتِ
وَأصْبَحَت غَـــابَـــةً لِلنّهبِ وَالطـــرَد !

* ● *

أدْعُـــوكَ دَعْـــوَةَ خَطَّـــاء تُـــؤرِقُـــهُ
ذُنُـــوبُـــهُ وَســـوَىٰ مَـــوْلاَهُ لَـمْ يَجِـدِ
فَـــامْنَحَـهُ عَفْـــوَكَ وَاغْفِـــرْ مَـا تَعمَّـــدهُ
مِنَ الخطَـــايَـــا وَمَـــا لَمْ يَنـــو أوْ يُـــرِدِ
وكُنْ لَـــهُ يَـــوْمَ يَـــاتِـي وَهْـــوَ مُنْكَسِفٌ
فِي مَـــوْقِـفٍ بِجُمُـــوع الخَلْقِ مُحْتَشِـــدِ
قَـدْ كُنْتُ أمْشِي خُطَـىٰ عُمْـرِي عَلَى مَهَلٍ
وَاليَـــوْمَ أعْـــدُو بِخَطْـــوٍ غَيْـــرِ مُتَّئِـــدِ

دَخَلْتُ مِحْـــرَابَكَ الأسْنَى فَـــزَهّـــدَنِي
فِي حُبّ غَيْـرِكَ لَـــوْ أنْجُـو مِنَ الحَسَـدِ !
مَنْ خَاضَ فِـي الوَحْلِ قَالُـوا ثَعْلَبٌ جَشِعٌ
وَمَنْ تَعَفّفَ قَـــالُـــوا : شَـــر مُنْعَقِـــدِ !
مَـا الشعْـرُ ؟ إنْ لَمْ يَكُن نَجْـوَى وَأدْعَيـةٌ
إلَيْكَ تَنْسَـــابُ مِنْ قَلْبِـي وَمِنْ كَبِـــدِي
نَسِيتُ كُلَّ هَـــوىً مُـــذْ شَعَّ نُـــورُكَ فِي
نَفْسِي وَأَلْهَمَهَـــا الـرجْعَى إلَى الـــرّشَـدِ
أوْدَعْـــتَ حُبّـكَ فِـــي قَلْبِـــي فَـأنَّسنِـــي
وَلَمْ أكُـنْ وَهْـــوَ فِي قَلْبِـي بِمُنْفَـــرَدِ
رَأتْ جَمَـــالَكَ عَيْنِي فَـــانْبَهَـــرْتُ بِـــهِ
وَغَـابَ عَنْ عَيْنِ مَنْ يَشْكُـــو مِنَ الـرّمَـدِ
أخْشَى وَأرْجُـــــوكَ إلاّ أنّ لِي ثِقَـــــةً
بِـأنَّ حُبَكَ طَـــــوْقٌ مُمْسِـكٌ بِيَـــــدِي
فَقُلْ : غَفَـــرْتُ لِعَبْـــدِي تَنْفَـــرِجْ كُـــرَبِي
وَتَنْفَـــرِجْ عَـنْ فُـــؤادِي ظُلْمَـــةُ العُقَـــدِ